

التزاماته خارج الوطن . وعندما يدافع العراق  
من سورها ضد جيش العدو الصهيوني ، ويقاتل  
الجيش الجزائري لتحرير فلسطين فإن مثل هذه  
المواقف تنطوي على لهم قومي خاص ..

### العلاقة بين القمة والسفوح والقاعدة<sup>(1)</sup>

(1) حديث الرفيق النائب في اجتماع لجنة الجغرافية لصلاح  
الناهج الدراسية بتاريخ ٢٠ - ٩ - ١٩٧٥

لموضوع الجغرافية أهمية خاصة في حسابات العمل والنضال السياسي ، فكيف ندرس الجغرافيا ؟ كيف ندرس العراق والوطن العربي في الجغرافية ؟ .. وكيف ندرس العراق في التاريخ والوطن العربي في التاريخ ؟ العراق ضمن الوطن العربي في المفاهيم القومية ، والعراق بحد ذاته ضمن مفاهيم العمل والنضال الوطني ، وبما لا يجعل هنالك تعارضاً بين المفاهيم القومية ومفاهيم الوطنية ، ويقوى الانشقاق بينهما ؟

ان اية حركة لتفجير واقع ما ، اذا انعزلت عن مكونات ذلك الواقع ، اثناء تغييره الى الامام ، ستقع بخطأ التقدير ، ولا تخرج بالنتائج التي تستهدفها في عملها ، الذي تريده القيام به . هذه بديهيية من بديهييات العمل ، أي عمل ، سواء كان ثقافياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو

اذ ان الذي يجب ان يركز عليه في القول هو الشعب العراقي ، وهذا هو التعبير الدستوري والسياسي ، وهو التعبير الصحيح الذي يخدم المبادئ . نحن شعب واحد ، وفيتنا اكثرا من قومية واحدة ، ضمن وحدة الشعب . ما يستوجب ان تكون يقطنين ، وان تعقب ، وتتعرّف بدقة على الصيغ والاساليب التي من الممكن ان تثير احساس شعبنا ، وتوجهها باتجاهات خاطئة او منحرفة ، سواء كانت تلك الصيغ والاساليب بتدبر من قوى خارجية ، او بسبب عدم فطنة وسوء فهم ، صادر عن قوى داخلية ، مما يتطلب ، ونحن ندون التاريخ والجغرافيا ، ان تكون هذه الصورة واضحة امامنا . بعض الناس من يعملون في منظمات اجتماعية او سياسية في العالم ، ويمثلون منظماتهم من موقع القمة ، قد يقودهم شعورهم بالضعف الى تصور ان

اقتصاديا - وانطلاقا من هذا المفهوم فعندما تحدث عن مقاهيم العمل القومي والنضال القومي ، لا بد ان تتعرف على العراق الذي نعيش فيه اولا ، وان تكون دقيقين وجريئين في افكارنا حول هذه المسألة . والجرأة والدقة المطلوبتان في التعرف على واقع العراق ليستا لاجل الارتداد عن مقاهيمنا ومنطلقاتنا القومية المبدئية ، وإنما من اجل ان توفر الحصانة المطلوبة على اسس علمية ومبدئية عالية ، لضمان استمرارية التقدم ، على طريق مقاهيمنا ومبادئنا .

في هذا القطر اغلبية واقليات ، وضمن حدود القطر نحن شعب واحد ، واستمرار التركيز بالقول بالشعب العربي ، والشعب الكردي إنما هو انحراف بالمقاهيم ، ومحاولة - سواء كانت مقصودة او قاصرة - تفضي الى تثبيت اسس فلسفية للاتجاهات الشوفينية والانفصالية ..

المحافظة عليها هو تحويل الآخرين الى  
 ارض مستوية او وديان . واطراؤا مع بعض  
 هذه المفاهيم ، يحاول البعض ، عند الحديث  
 عن العراق ، في التاريخ او الجغرافية ،  
 من اجل ان يبرز الجانب القومي في  
 انتماء العراق الى الوطن العربي ،  
 وانتماء الشعب العراقي الى الامة  
 العربية ، ان يسحق العراق ، او ان يضغط  
 حجمه الى اقل مما يجب ، لكي يبرّز المفاهيم  
 القومية ، او لكي يبرّز مسألة الانتماء الى  
 الوطن العربي والشعب العربي ، الاكبر  
 والاوسع . والبعض الآخر يركز في الحديث عن  
 العراق ، ويهمل التوازن المطلوب بين هذا ، وبين  
 صلة العراق بالوطن العربي والامة العربية ،  
 فيحصل الخلل ايضا نتيجة لذلك ؛ اذ تقوى  
 « العراقية » على حساب الامة ، وعلى حساب

الطريق الصحيح ، للمحافظة على مواقعهم  
 ومكانتهم في القمة ، انما هو طريق تهشيم  
 السفوح او القمم المجاورة . في حين ان الطريق  
 الطبيعي والصحيح غير ذلك تماما ، بل هو على  
 النقيض من هذا التصور . فالطريق الطبيعي في  
 المحافظة على المكانة والموقع في القمة ، سواء  
 بصيغة دستورية او بصيغة نضالية في المنظمات  
 السياسية او الاجتماعية ، وفي اجهزة الدولة ،  
 هو بالمحافظة على السفوح والقاعدية . وعندما  
 تزيد المحافظة على موقع القمة او القمم ، بطار  
 المسؤولية ، يجب ان نعمل على تطوير وزيادة  
 وتيرة النمو لدى المعنيين ، وبذلك وحده نعم  
 الموازنة ، باتجاهها وعلى أساسها الصحيحة ، بين  
 المحافظة على موقع القمة ، والصلة الحية المطلوبة  
 بين القمة و « السفوح » والقاعدية . وعند  
 ذلك لا يكون طريق الوصول الى القمة ، او

وهذا يتطلب تجنب أي تناقض ، حتى ولو كان ظاهريا ، بين عراقيه العراقي ، وبين انتسابه ، او انتسابه الى الوطن ، والامة العربية . ان هذا الانتساب لا يتناقض مع وجود اقليات في العراق ، او في غيره من الاقطارات العربية الاخرى ، لان الاغلبية والاقليات ، في الانتساب القومي ، موجودة في اغلب – ان لم نقل – في كل ام الارض ، ومع ذلك فالجميع ، ضمن حدود السيادة الوطنية ، هم شعب واحد ، متساوون بالحقوق والواجبات . ان الصيغ المتعددة الاشكال والروافد ، وصولا الى هدف او اهداف مؤشرة ، هي احد الحلول الأساسية لمعالجة اي تناقض محتمل ، او متصور ، بين « العراقية » والعروبة .

وفي الوقت نفسه علينا – ونحن نتحدث عن التاريخ والجغرافية – ان نقطئ « وبمقص »

المفاهيم القومية ، وعلى حساب مستلزمات النضال القومي . فالشبيء الطبيعي – اذن – هو ان يحكم التوازن ، بشكل دقيق وعلمي وموضوعي ، في الحديث عن تاريخ العراق وتاريخ الامة ، عن جغرافية العراق ، وجغرافية الوطن العربي ، وفق الاتجاهات الصحيحة ، التي اشرنا اليها ، وبصيغ مماثلة ، تقريبا ، للعلاقة بين « القمة والسفوح والقاعدة » كما تحدثنا عنها .

عندما نضع العراق في صلب الامة ، لا تخشى من تقوية « العراقية » على حساب الامة ، مهما تحدثنا عن العراق من موقع ، وبصيغ الاعتزاز الكبير ، سواء ب الماضي ، او بحاضره ومستقبله . وبال مقابل – علينا – ونحن نتحدث عن الصلة بين العراق والامة – ان نلاحظ ان تقوية الروابط القومية باتجاهها الصحيح يجب ان لا تثير النعرات المؤذية داخل المجتمع العراقي ،

الثورة وجدت في هذا القطر بمفاهيمها المعروفة ، ولكنها كذلك ، لابد ان تقوى ركائز الارضية التي تقف عليها ، وقوية تلك الركائز لا تقتصر على الحديث عن الركائز الاجتماعية والسياسية ، وتطورها فيما بعد الثورة ، وانما لابد من الاستعانة بالتاريخ والجغرافية ، في تقوية ركائز الثورة ، وفتح آفاق المستقبل المشرق أمامها ، وهنا ، عندما نتحدث عن العراق ، بلد الحضارات المعروفة ، ونركز على تلك الحضارات ، فان حديثنا هذا يكتسب خصوصية متميزة في هذا الميدان ، وسنجد ، في الوقت نفسه ، في تاريخ ومكونات تلك الحضارات ، من العلامات والاستشهادات ما يقوى صلة المواطن العراقي بالوطن العربي وبذلك نعيد الى ذاكرة العراقي تاريخ السفر المشرق في هذا البلد ، صاحب هذه الحضارات ، وبما يقوّي تفاؤله ، في قدرة العراق وشعبه على أن يحمل مهام الرسالة القومية ، بشكل غير

حاد ، كل ما من شأنه ان يثير التزعزعات العنصرية او الانفصالية . وعلينا ان نهتم بالاستشهادات التي تقوى وحدة الشعب العراقي ، وقوى وحدة وتضامن الشعب العربي ، ضمن اقطاره ، وضمن الوحدة العربية مستقبلا . فعلى سبيل المثال ، عندما نتحدث عن سويسرا ، او عن الاتحاد السوفياتي ينبغي أن نقول : ان كلا منهما شعب واحد ، رغم انه مكون من أكثر من قومية ، لكي نرسخ في ذهن المواطن العراقي انه ليس هناك تعارض بين النضال من أجل العراق ، وبين النضال القومي ، الذي يتوجب أن يعني به جميع العراقيين ، وليس العرب منهم فحسب .  
لان نتائج النضال القومي ، وفق اتجاهات حزب البعث العربي الاشتراكي ، لا ترتبط بمستقبل العرب في العراق وحدهم ، وانما ترتبط - حيويا وفعليا - بمستقبل كل العراقيين .

اعتيادي ، ويكوننا قادرين على الاشعاع ، من موقعهما ، وبالتفاعل مع النضال القومي والانساني ، ويكون لهما دور عظيم من أجل الانسانية ، ومن أجل الامة العربية .

وتكتسب مسألة الحديث عن المتغيرات النوعية الى امام ، والتي جرت في المجتمع العراقي بعد الثورة ، أهمية خاصة كذلك .. مما يستوجب أن يكون الحديث عنها باعتزاز كبير . وهذا لا يعني تقوية القطرية ، ولا يمكن أن يقود اليها ، لأن الحديث عن المتغيرات ضمن القطر الى امام ، ودور الثورة فيها انما يؤكده ، ويعمق الاعتزاز بمبادئ الثورة ، التي هي مبادئ النضال القومي ، ومن أجله .

## ترسيخ التقاليد الديمقراطية شرط أساسى لبناء المجتمع الجديد<sup>(١)</sup>

(١) حديث الرفيق صدام حسين في مؤتمر المعلمين بتاريخ

١٩٧٦ - ٢ - ١٠